بدرٌ في التاريخ.. وبدرٌ المتجددة

١٤٤٧/٩/١٧هـ

د. عادل بن عواض الثبيتي

الحمد لله ذي العِزّةِ والجبروت، والملكِ والملكوت، نحمده سبحانه ونشكره لا يعزُبُ عنه شيءٌ ولا يفوت، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قيّومٌ لا ينامُ وحيٌّ لا يموت، له أحسنُ الأسماءِ وأعلى الصفاتِ والنُّعوت، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كانت بعثتُه للناسِ رحمةً وللأرواحِ سكينةً وللأعينِ نوراً وللقلوبِ قوت، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ واقتفى أثرهم، ما حام في السماءِ طيرٌ أو عامَ في البحارِ حوت.

أما بعد: فإنّ خيرَ ما تزوّده العبد تقوى مولاه، وأوثقَ ما ملأ منه يده تمسّكَه بهداه، فقد انحازَ إلى قوّة من لاذ به واحتمى بحماه، وفاز أعظمَ فوزٍ من عاذ به مما يخشاه.

يا مَنْ نلوذُ به فيما نؤمّلُه ومنْ نعوذ به مما نحاذرهُ

لا يجبرُ الناسُ عظماً أنت كاسرهُ ولا يهيضون عظماً أنت جابرُهُ

فاحفظوا الله يحفظكم، احفظوا الله تجدوه أمامكم، تعرفوا إليه في الرخاء، يعرفكم في الشدة، وإذا سألتم، فاسألوا الله، وإذا استعنتم، فاستعينوا بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلَّهم جميعاً أرادوا أن ينفعوكم بشيء لم يكتبه الله عليكم، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروكم بشيءٍ لم يكتبه الله عليكم، لم يقدروا عليه، واعلموا أن في الصبر على ما تكرهون خيراً كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا[١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

أيها الصائمون المرابطون: تعالَوا معي لنركبْ سفينة الذكريات، ونمخُرَ عبابَ بحارِ التاريخ، ف﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾ [هود: ٤١]، حتى ترسوَ بنا في مثل يومكم هذا، من شهركم هذا، من العام الثاني لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) حديث ابن عباس بلفظ الإفراد لا الجمع أخرجه أحمد (٢٨٠٣) والترمذي (٢٥١٦).

انظروا هناك: إننا نرى ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلاً، من خيرِ جيلٍ اختارهم الله لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم، إنهم هناك يُعِدّون العُدّة، ويُرَصّون الصفوف، تَرى في قسمات وجوههم النور، ونظرات عيونهم التفاني للذود عن حمى الإسلام.

وبينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والسرورُ بادٍ على وجهه عندما قال له المقداد بن عمرو رضي الله عنه: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّا لا نَقُولُ لكَ كما قالَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المَائِدَة: ٢٤]، ولَكِنِ امْضِ ونَحْنُ معكَ[٢]، ثم اسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بربِّهِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ، فأتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فأخَذَ رِدَاءَهُ، فألْقَاهُ علَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ، وقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فإنَّه سَيُنْجِزُ لكَ ما وَعَدَكَ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يهتف بربه يقول: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِهِ العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ[٣].

نعم أيها المؤمنون، إنها بدر الكبرى، التي وقف عند تاريخ البشرية جمعاء على مفترق طريق؛ إما نصرٌ يستمر به الإسلام، ويُنشرُ بسببه نور الوحي في أنحاء المعمورة، وإما هزيمةٌ ينتهي بسببها الإسلام في مهده لتعيشَ بعدها البشرية قاطبة في ظلمات الشرك والجاهلية.

لقد قاتل أولئك الصحابة رضي الله عنهم دون الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وسلم، فكان لهم فضلٌ على كلِّ من شهد أن لا إله إلا الله بعد ذلك إلى يوم الدين.

دارت المعركة التي لم تكن متكافئة لا في العدد ولا العدّة، ولكن الإيمان في القلوب يصنع الأعاجيب، ليعلّمَنا الله أن موازين النصر أعظمُ من موازين القوى المادية، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٠].

تفانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته في القتال، فما غارت الشمس إلا على نصرٍ مجيدٍ خالدٍ للإسلام، وذلٍّ عظيمٍ للكفر وأهله.

---

(٢) من أفراد البخاري على مسلم برقم (٤٦٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقفٌ على قليب بدرٍ بعدما ألقيت فيه أجداث المشركين وهو يقول لهم: (يا أبا جهلِ بنَ هِشـــامٍ، ويا عُتْبةَ بنَ رَبيعةَ، ويا شَـــيْبةَ بنَ رَبيعةَ، ويا أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ، هل وجَدْتُم ما وعَدَكم ربُّكم حقًّا؟ فإنِّي قد وجَدْتُ ما وعَدَني ربِّي حقًّا). قالوا: يا رسـولَ اللهِ: تُنادي أقوامًا قد جَيَّفوا؟ قال: (ما أنتم بأَسْمَعَ لِما أقولُ منهم، غيْرَ أنَّهم لا يَستَطيعونَ أنْ يُجيبوا)(٤).

وجاءت أم حارثةَ بنُ سراقة رضي الله عنهما إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكان ابنها حارثةُ أولَ شـــهيدٍ في الغزوة فَقَالَتْ: يا رَســـولَ اللَّهِ: قدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فإنْ يَكُنْ في الجَنَّةِ أصْـــبِرْ وأَحْتَسِـــبْ، وإنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى ما أصْـنَعُ، فَقَالَ: (ويْحَكِ، أوَهَبِلْتِ؟ أوَجَنَّةٌ واحِدَةٌ هي؟ إنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وإنَّه في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ)(٥).

بارك الله لي ولكم

الخطبة الثانية

أما بعد: فإن تقوى الله تعالى زينة في الرخاء، وعُدّة عند البلاء، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٢٠٠].

إخوة الدين والعقيدة: مخطيءٌ من ظنّ أنّ أبا جهلٍ شخصيةً تاريخية عابرة، مخطيءٌ من ظنّ أن زُمَر الشرك، وجند الطاغوت هزموا في بدرٍ وانتهى أمرهم.

فلئن تردّى أبو جهلٍ في قليب بدرٍ، فإنّ آباء الجهل لا زالوا يكيدون للإســـلام وأهله، ولئن هَزم الله جيش المشركين في بدرٍ، فإن للمشركين جيوشاً أخرى لا زالت تشنّ الغارات على بلاد المسلمين.

ولئن نصر الله دينه بالمهاجرين والأوس والخزرج في بدرٍ، فإن الله ناصرٌ دينه، وحافظٌ مهد الإسلام الأولى، بأحفادِ أولئك الأبطال، رجالِ القوات المسلحة السعودية.

لئنْ عرَف التاريخُ أوساً وخزرجاً فلله أوسٌ آخرون وخزرجُ

---

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٧٤)، والنسائي (٢٠٧٥)، وأحمد (١٣٧٧٣) واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٨٢).

فيا أبطال القوات المسلحة السعودية، كما ذاد الصحابة عن الإسلام ذودوا، وكما سجلوا لربهم وقفةً قفوا، حماية لبلاد الحرمين، ومهد الرسالة، ومنار الوحي.

لا تُهيِّئ كفني.. ما متُّ بعدُ! لم يزلْ في أضلعي برقٌ ورعدُ

أنا إسلامي.. أنا عزَّته أنا خيلُ الله نحو النصر تعدو

أنا تاريخي.. ألا تعرفهُ؟ خالدٌ ينبضُ في روحي وسعدُ

أنا صحرائي التي ما هُزِمتْ كلّما استُشهدَ بندٌ ثار بندُ

ما دعانا الفتحُ إلا شمختْ هذه الصحراءُ، فالكثبان أُسْدُ

لا تغرّنّك منّي هدأتي لا يموتُ الثأرُ لكن يستعدُّ

إنَّ ما ضُيّعَ في ساحِ الوغى في سوى ساحتها لا يُستردُّ(٦)

اللهم احم بلادنا وسائر بلاد المسلمين، اللهم أيد بالحق إمامنا وولي أمرنا خام الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمير محمد بن سلمان لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم أيد قواتنا المسلحة بتأييدك، واجعل النصر حليفهم، والتمكين قرينهم، اللهم احقن دماءهم واربط على قلوبهم.

---

(٦) من قصيدة للدكتور غازي القصيبي رحمه الله.